

## محمد الرئيس

### الرئيس الصديق:

من الحسن أن نكتب عن محمد الرئيس بعد كتابتنا عن محمد الصديق . . لأنه هو قد جعل للرئاسة معنى الصداقة المحترمة، فمحمد الرئيس هو الصديق الأكبر لمرؤوسيه، مع استطاع أن يعتز بكل ذريعة من ذرائع السلطان . .

فهناك الحكم بسلطان الدنيا .

وهناك الحكم بسلطان الكفاءة الآخرة .

وهناك الحكم بسلطان الكفاءة والمهابة .

وكل أولئك كان لمحمد الحق الأول فيه : كان له من سلطان الدنيا كل ما للأمير المطلق اليدين في رعاياه، وكان له من سلطان الآخرة كما ما للنبى الذى يعلم من الغيب ما ليس يعلم المحكومون . . وكان له من سلطان الكفاءة والمهابة ما يعترف به بين أتباعه أكفأ كفاء وأوقر مهيب .

ولكنه لم يشأ إلا أن يكون الرئيس الأكبر، بسلطان الصديق الأكبر: بسلطان الحب والرضا والاختيار .

فكان أكثر رجل مشاورة للرجال، وكان حب التابعين شرطاً عنده من شروط الإمامة فى الحكم بل فى العبادة فالإمام المكروه لا ترضى له الصلاة .

وكان يدين نفسه بما يدين به أصغر أتباعه . . فروى أنه كان فى سفر وأمر أصحابه بإصلاح شاة . فقال رجل: يا رسول الله! على ذبحها وقال آخر . وعلى سلخها وقال آخر: على طبخها: فقال ﷺ: وعلى جمع الخطب .

فقالوا: يا رسول الله تكفيك العمل قال: علمت أنكم تكفنوننى، ولكن

أكره أن أتميز عليكم، إن الله سبحانه وتعالى يكره من عبده أن يراه متميزا بين أصحابه".

وأبى، والمسلمون يعلمون في حفر الخندق حول المدينة، إلا أن يعمل معهم بيديه. ولولا أنها سنة حميدة يستنها للرؤساء في حمل التكاليف لأعفى نفسه من ذلك العمل وأعفاه المسلمون منه شاكرين.

وجعل قضاء حوائج الناس أمانا من عذاب الله وكما قال: "إن الله تعالى عباداً اختصهم بحوائج الناس يفرغ إليهم الناس في حوائجهم أولئك الآمنون من عذاب الله".

\*\*\*

## الشرع له الظاهر:

وقد كان أعلم الناس أن الأعمال بالنيات ولكنه علم كذلك "إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم" فوكل الضمائر إلى أصحابها وإلى الله، وحاسب الناس بما يجدى فيه الحساب.

سمع خصومة بباب حجرته فخرج إليهم قائلاً: "إنما أنا بشر. وأنه يأتي الخصم فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه صدق، فأقضى له بذلك فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليأخذوها أو فليتركها". واليوم يكثر اللاغطون بحرية الفكر ويحسبون أنها كشفاً من كشف الثورة الفرنسية وما بعدها، ويحرمون على الحاكم أن يؤاخذ الناس بما فكروا به ما لم يتكلموا أو يعلموا ويكن في كلامهم وعملهم ما يخالف الشريعة..

فهذا الذي يسحبونه كشفاً من كشف العصر الأخير قد جرى عليه حكم النبي قبل أربعة عشر قرناً، وشرعه لأمته في أحاديث حيث قال ﷺ: "إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به نفسها ما لم تتكلم به، أو تعمل به".

## الرحمة فوق العدل

وزعموا كذلك أن تقديم الرحمة على العدل فى تطبيق الشريعة ودعوة من دعوات المصلحين المحدثين لم يسبقوا إليها، وهى هى دعوة النبى العربى التى كررها ولم يدع قط إلى غيرها فقال: "إن الله تعالى لما خلق الخلق كتب بيده على نفسه أن رحمتى تغلب غضبى" وقال: "إن الله تعالى رفيق يحب الرفق ويعطى عليه ما لا يعطى على العنف" وقال: "إن الله تعالى لم يعثنى معتنا ولا متعتنا ولكن بعثنى معلما ميسرا:" وروى عنه غير صاحب من أصحابه أنه ما خير بين حكمين إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن فيه خرق للدين.

\*\*\*

## بنية الضعفاء:

وكان يوصى بالضعفاء ويقول لصحبه: "ابغونى الضعفاء فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم" ويذم الترفع على الخدم والفقراء "فما استكبر من أكل مع خادمه وركب الحمار بالأسواق واعتقل الشاة فحلبها".

لكنه من الرحمة بالصغير لا ينسى حق الكبير: "من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا".

إذ ليس الإنصاف. حراما على الكبراء حلالا لمن صغر دون من كبر، فلكل حق ولكل إنصاف وإنزال منازلهم كما أمر قومه هو خير شعار تستقيم عليه الحكومة، وتنعكس أمور الأمم بانعكاسه.

## أهل الكفاءة لا أهل الثقة:

وكان النبى الرئيس يعلم أن الرئاسة لجميع المرؤسين وليست للموافقين منهم دون المحالفين، فيأمر قومه أن "اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافرا فإنها ليس دونها حجاب".

وإذا قال هذا رئيس ونبي فإنها لأولى السنن أن يتبعها الرؤساء كافة،  
لأنهم لم يبعثوا لنشر الدين ومحو الفكر كما بعث الأنبياء .  
لقد كانت سنة الرئاسة عند محمد هي سنة الصداقة . . فلو استغنى  
حكم عن الشريعة لا استغنى عنها حكم هذا الرئيس جاء بالشريعة لجميع  
متبعيه .

\*\*\*